مجلة جامعة الملك سعود، م١٦، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (١)، ص ص ٦١٩-٦٨٦ (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)

دعوة منكري البعث

حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار
أستاذ مشارك، قسم الدعوة والاحتساب
كلية الدعوة والإعلام ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
(قُدم للنشر في ١٤٢٢/١٠/١٧هـ ؛ وقبل للنشر في ١٤٢٣/١/٢٦هـ)

ملخص البحث. تهدف هذه الدراسة إلى التعرّف على إحدى طوائف الناس، وهي الطائفة التي أنكرت البعث، وكيف اهتم الإسلام بتقديم الدعوة لها، وقد تكوّن هذا البحث من تمهيد اشتمل على التعريف بالدعوة وبالبعث، كما اشتمل على أربعة فصول وخاتمة هي على النحو التالي:

الفصل الأول: اشتمل على التعريف بعقائد الناس في البعث.

الفصل الثاني: اشتمل على شبهات منكري البعث والرد عليها.

الفصل الثالث: اشتمل على دعوة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- لمنكري البعث.

الفصل الرابع: اشتمل على دعوة القرآن الكريم للإيمان بالبعث.

الخاتمة وقد اشتملت على عدد من النتائج.

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وخير الأنام، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد.

لقد عني الإسلام بدعوة الناس بمختلف أجناسهم وألسنتهم، وألوانهم إلى مضامين دعوة الإسلام، كل حسب حاجته.

وقد اهتم القرآن الكريم بإبراز دعوة طائفة من الذين أنكروا البعث، وكيف اجتهد الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام، ومن بينهم نبينا محمد ﷺ في عرض الدعوة لهؤلاء المنكرين بإقامة الاستدلالات المتنوعة على إثبات عقيدة البعث لأنّها من ضمن قضايا الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان الستة.

وقد امتن الله سبحانه وتعالى عليّ بجمع مسائل هذا الموضوع وإبرازه في قالب دعوي، لعلّ الله عز وجل أن ينفع بها.

إنّ الدعوة الإسلامية اليوم تواجه عدداً غير قليل من الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله ولا بيوم آخر، ولا ببعث ولا بحساب، وثواب وعقاب، ولذا فإنه يحسن بالدعوة الإسلامية في وقتنا الحاضر أن تفيد من الجهود الحثيثة التي بذلها الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام في دعوة منكري البعث، فإنّ في ربط الحاضر بالماضي خيرٌ كثير، كما ينبغي أن تعنى الدعوة الإسلامية في وقتنا الحاضر بالتركيز على الاستدلالات العقلية والعلمية وإثارة مخزونات النفس البشرية فإنّ ذلك أدعى للتأثير وقبول الحق.

وفي الختام أسأل الله سبحانه أن يهدينا إلى طريق الخير والصواب واقتفاء سيرة سيد المرسلين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

التعريف بالدعوة

الدعوة في اللغة

قال ابن فارس: (دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك [١، جـ٢، ص ٢٧٩، مادة: دعو].

وقال ابن منظور: الدعوة مصدر للفعل الثلاثي، دعا، يدعو، دعوة، ولها معان متعددة كلها تدور حول: الطلب، والسؤال، والنداء، والتجمع، والدعاء، والاستمالة، والاستغاثة [٢، جـ١٤، ص ٢٥٧، مادة: دعا].

ولفظ الدعوة يطلق على: الدعوة إلى الخير، وعلى: الدعوة إلى الشر، ويتحدد معناها المراد من خلال سياقها.

فمن استعمال كلمة الدعوة في الخير: قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ (الرعد، آية ١٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس، الآية ٢٥). وفي كتابه ﷺ إلى هرقل: "من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين."[١].

ومن استعمال كلمة الدعوة في الشر: ما قاله القرآن الكريم عن يوسف: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾ (يوسف، الآية ٣٣) أي من طاعة النسوة والوقوع في الإثم.

ومن استعمال كلمة الدعوة في الخير والشر: ما حكاه القرآن الكريم عن مؤمن آل فرعون: ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ (غافر، الآية ٤١) وما حكاه القرآن الكريم عن المشركين: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (البقرة، الآية ٢٢١).

---

١ أخرجه البخاري [٣، جـ١، ص ص ٦-٨، رقم ٧]، وأخرجه مسلم [٤، جـ٣، ص ص ١٣٩٣-١٣٩٧، رقم ١٧٧٤].

ومنه: حديث عكرمة أنَّ ابن عباس قال له ولعليّ بن عبدالله: ائتيا أبا سعيد فاسمعا من حديثه، فأتيا وهو وأخوه في حائط لهما يسقيانه، فلما رآنا جاء فاحتبى وجلس فقال: كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة، وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين، فمر به النبي ﷺ ومسح عن رأسه الغبار وقال: "ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار."[٢]

الدعوة في الاصطلاح

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على: الإسلام الذي هو موضوع الدعوة، كما تطلق على: عملية نشر الإسلام وتبليغه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد معناها.

ولا شك أنَّ الدعوة بمعنى: نشر الإسلام وتبليغ أحكامه للناس، أصبحت علماً مستقلاً وقائماً بذاته، وله تفريعاته، وأركانه، ومسائله، وقضاياه، وهو بذلك يتواكب مع سائر العلوم الإسلامية الأخرى يفيد منها ويفيدها.

أولاً: تعريف الدعوة بمعنى: الإسلام أو الدين الذي هو موضوع الدعـــوة. قال الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- هي: الإسلام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك [٥، ص ٨]. وقيل هي: دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدّد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدين والآخرة [٦، ص ٣٩].

---

٢ أخرجه البخاري [٣، جـ٣، ص ص ٢٧٢-٢٧٣، رقم ٢٨١٢].

وقيل هي: النظام العام، والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد ﷺ من ربِّه، وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على ذلك من ثواب أو عقاب، في الآخرة [٧، ص ١٢].

ثانياً: تعريف الدعوة بمعنى: نشر الإسلام وتبليغ أحكامه. قيل هي: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إيّاهم، وتطبيقه في واقع الحياة [٨، ص ١٧].

وقيل هي: العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة إلى تبليغ الناس بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق [٧، ص ١٠].

وقيل هي: فنّ يبحث في الكيفيّات المناسبة التي نجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها [٩، ص ٣٩].

وأقول إنّ الدعوة بمعنى النشر والبلاغ هي: استخدام كافة فنون القول، ومهارات التبليغ لجذب المدعوين إلى الإسلام بطريقة مشروعة.

وهذه التعاريف لا منافاة بينها، بل بعضها يكمل البعض الآخر، فهي ليست من باب اختلاف التضاد لكنها من باب اختلاف التنوع، وكل تعريف عني بجانب مهم من جوانب الدعوة.

التعريف بالبعث

البعث في اللغة: الإرسال يقال "بعثه وابتعثه بمعنى: أرسله فانبعث" [١٠، جـ١، ص ٢٤٢، مادة: بعث].

ويأتي البعث بمعنى الإسراع يقال: "انبعث في السير أي أسرع" [١١، جـ١، ص ٣٥٠، مادة: بعث].

ويأتي البعث بمعنى الإحياء بعد الموت [١ ، جـ١ ، ص ٢٦٦ ، مادة : بعث]، ويأتي بمعنى الإثارة والنشر والتحريك [١٠ ، جـ١ ، ص ٢٤٢ ، مادة : بعث].

البعث في الاصطلاح

قال ابن كثير رحمه الله : "البعث وهو المعاد ، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة" [١٢ ، جـ٣، ص ٢٢٨].

وقال الشيخ عبدالعزيز السلمان –رحمه الله– البعث : "هو إعادة الأبدان ، وإدخال الأرواح فيها فيخرجون من الأجداث أحياء مهطعين إلى الداعي"[١٣ ، ص ص ٧٨-٧٩].

إن التعاريف السابقة تؤكد على حقيقة هامة وهي : أن البعث للأجساد والأرواح ، إذ المعاد الجسماني هو "المتبادر عند الإطلاق ، ويجب الإيمان به واعتقاده ويكفر منكره" [١٤ ، ص ٦٥].

قال القرطبي – رحمه الله : "وعند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم" [١٥ ، ص ١٨٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله : "ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى"[١٦ ، جـ٤ ، ص ٢٨٤].

والذي عليه سلف الأمة أن الأجساد تستحيل تراباً كما كانت عدا عجب الذنب.

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال : "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق وفيه يركب."[٣]

ومع اتفاق الشرائع على الإخبار بالبعث ، فقد أنكره قوم ، وتأوله آخرون على المعاد الروحاني ، دون الجسماني ، اعتماداً على استحالة ذلك في عقولهم القاصرة.

---

٣ أخرجه مسلم [٤ ، جـ٤ ، ص ٢٢٧١ ، رقم ٢٩٥٥].

الفصل الأول

المبحث الأول: أهمية الإيمان بالبعث

أكد القرآن الكريم على أهمية الإيمان بالبعث، وركز في دعوته لمنكري البعث إلى ضرورة الإيمان والإقرار به، ونوّع في الاستدلال على إثبات البعث ووقوعه، كما ركز على العقل باعتباره إحدى وسائل المعرفة من خلال إعماله في آفاق النفس وفي آفاق الكون.

كل ذلك لأن الإيمان بالبعث يقوم عليه صلاح حياة الناس في الدنيا، لأن إيمان الناس بأنهم سوف يبعثون ويجازون على أعمالهم، من أعظم الدوافع على القيام بأعمال الخير والبر ونشر الفضيلة، والرغبة في الإحسان والإيثار لما يجده الإنسان من اليقين، بأنه سيلاقي ثواب ما يقدمه عند الله، كما يحمله ذلك على الصبر واحتمال الأذى والشدائد في ذات الله تعالى، كما أن الإيمان بالبعث والجزاء يحمل على الكف عن اقتراف الشرور والآثام والكف عن البغي والظلم والفساد، لما يعلمه الإنسان من أنه سوف يلقى ربه سبحانه، وقد أحصى عليه كل كبيرة وصغيرة[١٧، ص ص ٣٣٧-٣٣٩].

وفي الإيمان باليوم الآخر عزاء، لمن يناله أذى على يد ظالم وباغ ومعتد.

إن عدم الإيمان باليوم الآخر يجعل الحياة تتحول إلى شرور لا نهاية لها، لأن الإنسان الذي يوقن بأن حياته ستنتهي على هذه الأرض بعد فترة من الزمن، ولا يؤمن بالبعث بعدها، يجد في نفسه كثيراً من الرغبات والشهوات ولا يرده عن ذلك شيء، وفي هذه الحالة لا يبالي أن يقترف في طريقه أي إثم أو ظلم، فيعم بذلك الشر والفساد والظلم.

لذلك ركز القرآن الكريم على أهمية الإيمان باليوم الآخر، حيث إنه من أهم البواعث على القيام بالطاعة من فعل المأمور به، وترك المنهي عنه وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تركز على أهمية الإيمان بالبعث والتي منها:

قال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأنعام، الآية ٩٢). وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب، الآية ٢١).

وقال تعالى: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴾ (النساء، الآية ٧٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة، الآية ١٨).

وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة، الآية ٤٤).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ (هود، الآيتان ١٠٢-١٠٣).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ (الزمر، الآية ٩).

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المجادلة، الآية ٢٢).

إن من أعظم أسباب الإصرار على الكفر، والوقوع في المعاصي والذنوب وظلم الناس، والبغي والطغيان، عدم الإيمان باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (النحل، الآية ٢٢).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَـٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (المؤمنون، الآيات ٣٣-٣٧).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الزمر، الآية ٤٥).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ ﴾ (النجم، الآية ٢٧).

وقال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَـٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ (المطففين، الآيات ١-٦).

المبحث الثاني: موقف الناس من البعث

١- إثبات المعاد للبدن والروح جميعاً، وهو قول سلف الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم، ومن التابعين رحمهم الله، ومن سار على نهجهم.

٢- إنكار المعاد للأبدان والأرواح، وهذا اعتقاد مشركي العرب واليونان والهند، وقد ذكر ذلك في القرآن الكريم وهو قول الدهرية.

٣- إثبات المعاد للأبدان فقط ، ونسب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذا القول إلى كثير من المتكلمين من الجهمية والمعتزلة.

٤- المعاد للأرواح فقط دون الأبدان ، وهو قول الفلاسفة أتباع أرسطو [١٦ ، جـ٤ ، ص ٣١٣ بتصرف ؛ ١٨ ، جـ١ ، ص ص ١٦٤-١٦٥].

ويجدر بنا أن نركز بإيجاز على قول المنكرين للبعث ، حيث إن البحث يتمحور حول دعوة منكري البعث في القرآن الكريم.

"إن الدهرية أنكروا المبدأ والمعاد ، وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعد بأنفسها" (١٩ ، جـ٢ ، ص ١٩٩)، وهؤلاء هم الذين قال تعالى عنهم : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الجاثية ، الآية ٢٤)، وهذا قول مشركي العرب ، إلا أن مشـــــركي العرب مقرون بالبداءة وأن الله تعالى ربهم وخالقهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ ﴾ (الزخرف، الآية ٨٧)، وهو قول عامة المشركين من غير العرب من الهند واليونان والفرس ، وأهل الكفر يتفقون على إنكار البعث والتكذيب به وإن اختلفت أسباب ذلك في نفوسهم.

فمنهم من استبعدوه واستعظموا أن تصير الأجسام بعد تفرقها وتحللها وفسادها وفنائها في الأرض حية تسعى وتدرك ، يقول تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (الإسراء ، الآيات ٤٩-٥١)، ومنهم من حسبوه شيئاً غير مألوف في السنن الكونية الجارية فقد غفلوا عما يجري في الحياة من حولهم لألفها وتكرارها. قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (فصلت ، الآية ٣٩). ومنهم من أنكره جحوداً وعناداً كما قال

تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ ﴾ (يونس، الآية ٥٣). ومنهم من أنكره جحوداً[٢٠، ص ص ٤٦-٥١] وعناداً، وفيهم يقول تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ (المؤمنون، الآية ١١٥).

المبحث الثالث: تصورات منكري البعث

لقد صوّر القرآن الكريم ما زعمه منكروا البعث بالنسبة لمسألة البعث التي احتكموا فيها لخيالهم المريض، ولعقولهم القاصرة، قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (النحل، الآية ٣٨). يقول تعالى مخبراً عن المشركين إنهم حلفوا فأقسموا ﴿ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ ﴾، أي اجتهدوا في الحلف وغلظوا الأيمان على أنه ﴿ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ ﴾ أي استبعدوا ذلك، فكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك، وحلفوا على نقيضه، فقال تعالى مكذباً لهم، ورداً عليهم ﴿ بَلَىٰ ﴾ أي: بلى سيكون ذلك ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ أي: لابد منه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي: فلجهلهم يخالفون الرسل ويقعون في الكفر، ثم ذكر تعالى حكمته في المعاد وقيام الأجساد يوم التناد فقال: ﴿ ليبين لهم ﴾ أي: للناس ﴿ الذين يختلفون فيه ﴾ أي: من كل شيء و ﴿ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ (النجم، الآية٣١) و﴿ليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ (النحل، الآية ٣٩)، في أيمانهم وأقسامهم ألا يبعث الله من يموت، ولهذا يدعون يوم القيامة إلى نار جهنم دعا، وتقول لهم الزبانية: ﴿ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الطور، الآيات ١٤-١٦).

ثم أخبر الله عن قدرته على ما يشاء أن يقول له ﴿كن﴾ فيكون، والمعاد من ذلك إذا أراد كونه، فإنما يأمر به مرة واحدة، فيكون كما يشاء ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ (القمر، الآية ٥٠) وقال: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ (لقمان، الآية ٢٨).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال الله تعالى: سبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يسبني، وكذبني ولم يكن له أن يكذبني، فأما تكذيبه إياي فقال: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ (النحل، الآية ٣٨)، وقلت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وأما سبه إياي فقال: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ وقلت: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ (الصمد، الآيات ١-٤) [١٢، جـ٢، ص ٦٢٧].

إن الجدال في البعث والجزاء من الموضوعات المهمة التي شغلت الفكر الإنساني منذ القدم، وتصارعت فيها الأفكار بين السلب والإيجاب، والبشرية بما هو مرتكز في فطرتها من حب البقاء تقاوم فكرة العدم المحض، لأنها تحس بالحسرة الصارخة عندما تختنق فيها بواعث الأمل، باستمرار هذه الحياة الدنيا فهي ترى مظاهر الموت على قدم وساق، حيث تسلب الحياة من هذه الأجساد، ثم لا تلبث هذه الأجساد أن تتحول إلى رفات، ثم تتحلل إلى ذرات، فإذا كان مصير الإنسانية إلى هذا الفناء الرهيب، فما أبشعها من حياة محوطة بالمخاطر بين لحظة وأخرى.

وقد جاءت الأديان السماوية مباشرة بحياة أخرى بعد الموت، وجعلت مصير كل إنسان مرتهناً بما قدمت يداه في الحياة الدنيا، وبذلك عاد للإنسانية نوع من الطمأنينة، إذا هي آمنت بربها وبما جاءت به رسله، وقدمت عملاً صالحاً.

لقد كانت جميع الأديان السماوية تدعو للإيمان بالحياة الأخرى والبعث بعد الموت، والتصديق بما جاءت به الرسل عليهم السلام [٢١، ص ص ٣٠٨-٣٠٩؛ ٢٢، ص ٨٧].

"إن كثيرا من المشركين وكذلك الملحدين، أنكروا البعث، وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر، واتهموا الرسول ﷺ بالجنون وبالافتراء، لأنه أخبرهم بأن الله سيحييهم ثانية بعد الموت لحسابهم وجزائهم قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (سبأ، الآيات ٧-٩).

ففي هذه الآيات يخبرنا الله عن استبعاد الكفرة قيام الساعة بعد أن يموتوا وتتمزق أجسادهم وتتفرق وتبلى، أن يعيدهم الله ثانية، واتهموا الرسول عليه السلام بالجنون والافتراء، ولكن هؤلاء في ضلال بعيد، لأنهم لو نظروا إلى خلق السماء والأرض، لوجدوا فيه دليلا على قدرة الله.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (سبأ، الآيات ٣-٥).

وفي هذه الآيات يأمر الله عز وجل رسوله محمد ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد، لأن الله من صفاته أنه عليم فلا يغيب عن علمه أي شيء، ولو كان قدر الذرة في السماء أو في الأرض، فالله عليم به ومحيط [٢٣، ص ص ١٨٩-١٩٠].

يقول الإمام ابن كثير- رحمه ا لله : هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن، مما أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أهل الكفر والعناد.

فالأولى هي قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ (يونس، الآية ٥٣).

والثانية هي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ (سبأ، الآية ٣).

والثالثة هي قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن، الآية ٧).

فقوله: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ (سبأ، الآية ٣). ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره وَمَا ﴿ يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس، الآية ٦١).

قال مجاهد وقتادة: (لا يعزب عنه) أي: "لا يغيب عنه، فالجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة، فإنه بكل شيء عليم." ثم بين حكمته من إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ ﴾ (سبأ، الآية ٥)، أي سعوا في الصدّ عن سبيل الله وتكذيب رسله، ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ (سبأ، آية ٥)، أي: لينعم السعداء من المؤمنين، ويعذب الأشقياء من الكافرين [١٢، جـ٣، ص ٥٧٧]. "لقد استبعد الكفار قدرة الله على البعث، وهو العظيم العليم القدير الخالق المبدع، الذي خلق السموات والأرض بمن فيهن، أفيعجز عن إعادة الأجسام بعد أن تصبح رميماً.

لقد نسي هؤلاء الكفار أن الله خلقهم من العدم، والله قادر على أن يعيدهم ثانية، ولا يكون ذلك إلا بكلمة واحدة وهي كن فيكون.

إن عقيدة البعث من العقائد الأساسية في الإيمان، جاءت بها كل الرسل [٢٣، ص ١٩٢].

إنّ الإنكار لعقيدة البعث ممتد في الأمم الماضية عبر القرون والأعصار وإن الفلاسفة الطبيعيين أنكروا ذلك، وليس لدينا سجل تاريخي أصدق من القرآن الكريم، وقد حدثنا عن صدور الإنكار والاستبعاد من تلك الأمم المكذبة لرسلها [٢١، ص ص ٣٠٨، ٣٠٩].

وقد ذكر الله سبحانه في كتابه العزيز موقف الأمم المكذبة للرسل عليهم الصلاة والسلام، من قضية البعث بعد الموت، وتكذيبها لذلك، واستبعادها لحصوله ومجادلتها رسلها في شأنه، ولم يذكر لنا في الكتاب العزيز تفاصيل كثيرة في هذا الشأن عما دار بين الرسل وأممهم، سوى أن الرسل جميعا عليهم السلام، قد أنذروا أممهم عذاب ذلك اليوم.

أما ما جاء في كتاب الله العزيز من الإخبار عن إطباق الأمم المكذبة على التكذيب بالبعث [١٧، جـ١، ص ص ١٩٧-١٩٨] واستبعاده في مثل قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ۝ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (المؤمنون، الآيات ٨١-٨٣).

وقوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن، الآية ٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (هود، الآية ٧).

وقوله تعالى واصفاً استنكارهم لمسألة البعث: ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ (الصافات، الآيتان ١٦-١٧).

وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (يس ، الآية ٧٨).

ووصف قولهم لبعضهم: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (المؤمنون ، الآيات ٣٥-٣٧)، وقولهم: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الدخان ، الآيتان ٣٥-٣٦).

وقال تعالى عنهم وقالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية ، الآية ٢٤).

والآيات الواردة في تكذيب الأمم السالفة بالبعث مجملة ، تقتصر على ذكر تكذيبهم بالبعث وعدم إيمانهم به ، باستثناء موضع واحد جاء فيه تفصيل معتقد أمة معينة في البعث، وشبهها حوله.

والحديث في تلك الآيات كلها عن ثلاث من الأمم ، وهم: عاد ، وثمود ، وفرعون وقومه.

فأولا عاد: فقد ورد تكذيبهم بالبعث في موضعين ، موضع ذكروا فيه مع ثمود وهو قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾ (الحاقة ، الآية ٤)، والقارعة اسم من أسماء يوم القيامة والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ۝ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (الشعراء ، الآيتان ١٣٦-١٣٧).

وهؤلاء المكذبون أنكروا البعث والنشور محتجين بحال آبائهم الذين ماتوا ، وهذا شبيه بما ذكره تعالى من احتجاج منكري البعث من كفار قريش في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الجاثية ، الآية ٢٥). وقد أرشد الله نبيه إلى الرد على هذه الحجج الباطلة فقال جل وعلا: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية ، الآية ٢٦).

ثانيا: ثمود: فقد ورد ذكرهم آنفا مع عاد، وقد وصف الله الملأ الذين انبروا لمعارضة صالح عليه السلام بثلاثة أوصاف هي من أقبح الأوصاف:

١- الكفر بالله.

٢- التكذيب بالبعث.

٣- الترف وما يترتب عليه من انكباب على الدنيا وانغماس في الشهوات قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (المؤمنون، الآية ٣٣).

فقوله: ﴿ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ المراد بيان تكذيبهم بالبعث بالكلية فقالوا مخاطبا بعضهم بعضا: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ (المؤمنون، الآية ٣٥)، والمعنى: أيعدكم صالح أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا في قبوركم وعظاما، قد ذهب لحوم أجسادكم وأعصابها، أنكم مخرجون أحياء كما كنتم [٢٤، جـ ١٠، ص ص ١٨-٢٠]. ثم أكدوا إنكارهم للبعث بذكر تصورهم للحياة ككل [٢٥، ص ص ٣٠٣ - ٣٠٦]، فقالوا: ﴿ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ (المؤمنون، الآية ٣٧).

ثالثا: فرعون وقومه، فقد ورد ذكر تكذيبهم بالبعث في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (القصص، الآية ٣٩).

قال ابن جرير -رحمه الله- يقول: "وحسبوا أنهم بعد مماتهم لا يبعثون، ولا ثواب لهم ولا عقاب، فركبوا أهواءهم" [٢٤، جـ١١، ص ص ٢٠، ٧٨].

وورد ذكر عدم إيمان فرعون بالبعث في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ (غافر، الآية ٢٧).

وهذا وصف يعم فرعون وأمثاله من الكفرة الملحدين، وهو أول الداخلين فيه، وإن لم يعينه موسى عليه السلام، لتكون الاستعاذة بالله من كل من كان موصوفا بهذا الوصف [٢٦، جـ١٤، ص ص ٢٧، ٥٧].

"لقد ضل كثير من الجن والإنس حين راحوا يزنون مسائل النشور بعد الموت بميزان العقل والتجريب على ما يشهدونه ويرونه في مجريات الحياة الدنيا، قال تعالى عن الجن مخاطباً مشركي الإنس: ﴿ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾ (الجن، الآية ٨).

الفصل الثاني : شبهات منكري البعث والرد عليها

المبحث الأول: شبهات منكري البعث

تعددت شبهات منكري البعث حول الإيمان بعقيدة البعث، ومن أهمها ما يلي :

١ - الشبهة الأولى

"استبعاد عودة الحياة إلى الإنسان وقد استحال تراباً."

فالإنسان بعد أن تعبر، وتمضي عليه الشهور والأعوام تفنى صورته وتزول هيئته، ويتحلل جسده إلى مواد كثيرة، وترجع إلى أصلها في عناصر الأرض، وقد أورد السياق القرآني هذه الشبهة على ألسنة المنكرين للبعث في آيات كثيرة سبق ذكرها في الصفحات السابقة مثل قوله تعالى: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (المؤمنون، الآيات ٣٥-٣٧).

وهذه الشبهة فضلاً عن صدورها عمن لا يؤمن بالله عز وجل وبقدرته وعلمه فهي واهية متهافتة من حيث الاستدلال العقلي المنطقي، وقد أبان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (يس، الآية ٧٨)، قال: فقوله: ﴿ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ قياس حذفت إحدى مقدمتيه لظهورها، والأخرى سالبة كلية، قرن معها دليلها، وهو المثل المضروب الذي ذكره بقوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾.

وهذا استفهام إنكار متضمن للنفي أي: لا أحد يحيي العظام وهي رميم، فإن كونه رميماً يمنع عنده إحياءها لمصيرها إلى حال اليبس والبرودة المنافية للحياة التي مبناها على الحرارة والرطوبة، ولتفرق أجزائها واختلاطها بغيرها.

والتقدير: هذه العظام رميم، ولا أحد يحيي العظام وهي رميم، فلا أحد يحييها، ولكن هذه السالبة كاذبة، ومضمونها امتناع الأحياء، فبين سبحانه إمكانه من وجوه ببيان إمكان ما هو أبعد من ذلك وقدرته عليه، فقال: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾، وقد أنشأها من التراب، ثم قال: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس، الآية ٧٩) ليبين علمه بما تفرق من الأجزاء أو استحال.

٢ – الشبهة الثانية

"استحالت بجميع ما تفرق من عناصر الجسد"

قالوا: فبعض الأجزاء انعدم، وبعضها تحول إلى شيء آخر إنسان أو حيوان أو نبات، أو ذرات في الهواء، وربما يدخل بعض الأجزاء في النبات الذي يأكله إنسان آخر، فمن الذي يحيي العظام النخرة التي تبددت واستحالت، أو انتهى أمرها.

وهذه الشبهة معروضة على ألسنتهم في مواضع من كتاب الله، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (السجدة، الآية ١٠).

ورتب المنكرون على هاتين الشبهتين شبهاً كثيرة رددوها، كعدم رجوع آبائهم في هذه الدنيا، وفي ذلك قوله: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ (الدخان، الآيتان ٣٥-٣٦) [٢٧، جـ١، ص٣].

وما زعموه من أن لا ضرورة إلى النشور، فمنطقهم السقيم يقول: ما الضرورة للبعث إنهم أحياء في هذه الدنيا فلم يموتون ثم يبعثون، ويسلمهم هذا المنطق السقيم إلى

قولهم لو كان البعث ممكناً وكانت له حكمة فلم لم يقع ولو مرة واحدة في حياة الإنسانية [٢٨ ، جـ٤ ، ص ٢٧٨ ؛ ٢٩ ، ص ص ٤٦٥-٤٦٦].

هذه الشبهة قصد بها منكرو البعث العناد والتعنت ، وهي أنه لو أكلت السباع إنساناً ، أو أكل إنسان إنساناً آخر ، وصارت أجزاء المأكول في أجزاء الآكل ، فإن أعيد فأجزاء المأكول ، إما أن تعاد إلى بدن الآكل ، فلا يبقى للمأكول أجزاء تخلق منها أعضاؤه ، وإما أن تعاد إلى بدن المأكول منه فلا يبقى للآكل أجزاء [٢١ ، ص ص ٣١٣-٣١٤].

وبعد أن عرضنا لخلاصة شبهات منكري البعث ، والتي تدل على عدم الإيمان بالله وبقدرته وعلمه ، إنهم يفتقدون الإيمان كليّة ، وبالتالي صدرت عنهم هذه الشبهات ، كما أن فقدانهم للإيمان أدى بهم إلى تعطيل عقولهم عن النظر في الكون من حولهم للوقوف على دلائل قدرة الله في الكون. ويجدر بنا أن نورد الردود على تلك الشبهات.

المبحث الثاني: الرد على شبهات منكري البعث

١ - الرد على الشبهة الأولى

فقيما يتعلق بالشبهة الأولى ، وهي استبعاد عودة الحياة إلى الجسم بعد أن استحال تراباً ، يكون بالاحتجاج عليهم بقدرة الله الشاملة لكل شيء وبعلمه المحيط ، وأن الله أحاط بكل شيء علماً ، ومبنى الأدلة في ذلك يقوم على قاعدتين هما : القدرة والعلم.

أما القدرة : فإن الله قادر على كل شيء ، وقدرته تستلزم أن يكون قادراً على جمع ما تفرق من ذرات الأجساد ، وإعادة بنائها وتكوينها ، وإعادة الأرواح إليها ثم بعثها وحشرها ، والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١- قياس الإعادة على الابتداء ، إما عن طريق قياس "المساواة" كما قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (الأعراف ، الآية ٢٩) وقوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ

نُعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾(الأنبياء، الآية ١٠٤) يعني أن الإعادة ستكون مثل الابتداء في قدرة الله عليها وقد حصل الإيجاد أولاً، فما المانع من الإعادة ثانياً، وأما عن طريق القياس "الأولى" كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم، الآية ٢٧).

٢- وأما علمه المحيط بكل شيء، فإنه لا يستلزم أن لا يشتبه عليه أي جزء من أحد بأجزاء الآخرين لكمال علمه، وإحاطته بجميع الذرات، وما تحلل منها. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(يونس، الآية ٦١).

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (سبأ، الآية ٢).

٢ - الرد على الشبهة الثانية

وهي استحالت جمع ما تفرق من الجسد، بعد مفارقة القوة.

لقد ذكر الرازي في تفسيره يكون بقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس، الآية ٧٩)، ووجهه أن في الآكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك، فإذا أكل إنسان إنساناً صار الأصلي من أجزاء المأكول فضلياً من أجزاء الآكل، والأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان له قبل الأكل، والله بكل خلق عليم.

يعلم الأصلي من الفضلي، فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل وينفخ فيها روحه ويجمع الأجزاء الأصلية للمأكول، وينفخ فيها روحه، وكذلك يجمع الأجزاء المتفرقة في البقاع بحكمته الشاملة وقدرته الكاملة [٢٦، جـ٢٦، ص ص ١٠٩-١١٠].

ولم تصدر مثل هذه الشبهات عن منكري البعث، إلا لأنهم غفلوا عن آثار قدرة الله في أنفسهم وفيمن حولهم وعن آثار تلك القدرة في خلق السموات والأرض، وفي جميع المخلوقات، ومن ثم فهم يستبعدون أن تعيدهم القدرة الإلهية إذا ماتوا وصاروا تراباً، فما أهون هذا على الخالق القادر.

الفصل الثالث: دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام لمنكري البعث

المبحث الأول : اتفاق دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى البعث

اتفقت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى البعث، وكانت تلك الدعوة ركيزة كبرى في دعوة كل رسول، لأنها من أصول الإيمان، فكان التأكيد عليها في دعوة الرسل، وقد أخبر القرآن الكريم عن ذلك، ويجدر بنا أن نذكر بعض الآيات الواردة في هذا الشأن.

فقد أخبر القرآن الكريم عن جميع الأشقياء الكفار من أهل النار، وأنهم يقرون بأن رسلهم أنذرتهم باليوم الآخر، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(الملك، الآيات ٨-١٠).

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(الزمر، الآية ٧١).

فالكفار جميعاً عندما يسألون عند ورودهم النار، يقرون بأن رسلهم خوفتهم لقاء ذلك اليوم، ولكنهم كفروا وهذا الذي قررته الآيات السابقة بينه الله تعالى في غير موضع من كتابه العزيز، فقد أخبر الحق تبارك وتعالى أن مقتضى عدله وحكمته أن لا يعذب أحداً لم تبلغه الرسالة، ولم تقم عليه الحجة [٣٠، ص ٨٧]. قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا

مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾(الإسراء، الآية ١٥)، ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (النساء، الآية ١٦٥).

من أجل ذلك عمت الرسالة كل البشر ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾ (فاطر، الآية ٢٤). وعندما أهبط الله آدم إلى الأرض، عرفه بالبعث والمعاد قال: ﴿ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴾ (الأعراف، الآيتان ٢٤-٢٥).

المبحث الثاني :دعوة الرسل عليهم الصلاة السلام لأقوامهم إلى البعث

وأول الرسل نوح عليه السلام حذر قومه يوم القيامة، وضرب لهم الأمثال الدالة على وقوعه وحدوثه، فقد قال لقومه: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾(نوح، الآيتان ١٧-١٨).

وأبو الأنبياء خليل الرحمن ذكر اليوم الآخر كثيراً، ففي دعائه ربه لمكة وأهلها قال: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(البقرة، الآية ١٢٦).

وفي دعائه لنفسه وأبيه والمؤمنين قال: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴾(إبراهيم، الآية ٤١).

وجاء في مناجاة الله لموسى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴾(طه، الآيات ١٤-١٦).

وهود عليه السلام حينما دعا قومه إلى عبادة الله، والإيمان به، وبالبعث، ردوا عليه قائلين: ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾(الشعراء، الآيات ١٣٦-١٣٨).

وقال تعالى في شأن تكذيب عاد وثمود بالقارعة وهي اسم من أسماء القيامة: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾(الحاقة، الآية ٤).

وصالح أنذر قومه وخوفهم لقاء ربهم فكذبوه ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾(المؤمنون، الآيات ٣٣-٣٧).

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- يخبر الله أنه أنشأ بعد قوم نوح قوما آخرين، قيل: المراد بهم عاد فإنهم كانوا مستخلفين من بعدهم، وقيل: المراد بهؤلاء ثمود لقوله: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ ﴾ (المؤمنون، الآية ٤١)، وأنه تعالى أرسل فيهم رسولا منهم [١٢، جـ٣، ص ٢٧٠].

قال الإمام الشوكاني - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ (المؤمنون، الآية ٣١)، أي من بعد إهلاكهم، قال أكثر المفسرين: إن هؤلاء الذين أنشأهم الله بعدهم، هم عاد قوم هود لمجيء قصتهم على إثر قصة نوح في غير هذا الموضع، ولقوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ (الأعراف، الآية ٦٩). وقيل هم ثمود لأنهم الذين أهلكوا بالصيحة قال سبحانه: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ (المؤمنون، الآية ٤١)، ، وقيل: هم أصحاب مدين قوم شعيب لأنهم ممن أهلك بالصيحة [٣١، جـ٣، ص ٤٨٠].

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله- الظاهر أنهم ثمود قوم صالح عليه الصلاة السلام لأن القصة تشبه قصتهم [٣٢، ص ٥٥١].

وعلى كل، سواء كانت القوم عادا أم ثمودا كما تقدم ذكر أقوال بعض المفسرين، فقد دعا كل من هود وصالح عليهما السلام قومهما إلى الإيمان بالله وبالبعث ولكن أقوامهما كذبوا بالبعث وأنكروه شأنهم في ذلك شأن المنكرين من الكفار.

وجاء في دعاء يوسف عليه السلام ربه : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (يوسف، الآية ١٠١).

ومؤمن آل فرعون كان موقناً بالبعث عارفاً به، ولا تختلف معرفته به عن معرفتنا وقد حذر قومه من ذلك اليوم تحذيراً فيه تفصيل وبيان [٣٠، ص ص ٨٩-٩٠] ومما قاله لهم، وورد في كتاب الله : ﴿ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (غافر، الآيتان ٣٢-٣٣).

وقال أيضاً : ﴿ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾(غافر، الآيات ٣٩-٤١)، وقال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴾(غافر، الآية ٤٣).

إننا نلحظ التأكيد في هذه الآيات على استقرار عقيدة البعث في نفس هذا المؤمن -مؤمن آل فرعون- ومن ثم تحذيره لقومه وإشفاقه عليهم وإمعاناً في تحقق البعث يبين لهم عاقبة المؤمنين وهي دخول الجنة التي يرزقون فيها بغير حساب، وعاقبة المكذبين الذين أسرفوا في كفرهم وتكذيبهم الذي ينتهي بهم إلى النار.

وسحرة فرعون عندما رأوا الآيات الباهرة التي جاء بها موسى خروا ساجدين، وسبحوا مؤمنين، فتهددهم فرعون بالعذاب الأليم فاعتصموا بالله ربهم، ولم يلتفتوا إلى تهديد أو وعيد، وأجابوا قائلين [٣٠، ص ٩١]: ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾(طه، الآيات ٧٣-٧٦).

إن مشركي العرب استبعدوا أن تصير الأجسام بعد تعرقها وتحللها وفسادها قال تعالى: ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ ﴾(الإسراء، الآيات ٤٩-٥١).

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ، الآية ٣). ففي هذه الآيات يأمر الله عز وجل رسوله محمدا ﷺ أنه يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد.

الفصل الرابع: دعوة القرآن الكريم للإيمان بالبعث

مدخل

لقد كانت دعوة القرآن إلى الإيمان بالبعث موجهة إلى الناس عامة، إلا أن القرآن الكريم ركز في دعوته على منكري البعث الذين ثارت في أنفسهم شبهات في مسألة البعث، ومن ثم جاءت دعوة القرآن الكريم للإيمان بالبعث من خلال اهتمام القرآن بالبعث في سوره وفي آياته، وأيضا من خلال الأسماء الكثيرة ليوم القيامة التي ورد ذكرها

في القرآن الكريم. وفي هذا يلح القرآن في دعوته إلى الإيمان بالبعث من خلال قرع أسماع الناس بأحداث القيامة وتنويع الحديث عنها.

إن دعوة القرآن الكريم للإيمان بالبعث، كانت من القضايا الهامة التي عني بها كتاب الله عز وجل، وقد تمت معالجة هذه القضية معالجة سليمة وصحيحة بطريقة زادت المؤمنين إيمانا، وأزالت كل شبهة أو كل تصور فاسد عند من كان ينشد الحق، ويتجرد من الهوى والعناد. ولذا جاءت الأدلة على البعث كثيرة ومتنوعة، تعتمد على الوقائع الحية الثابتة التي وقعت بالفعل، وذلك من خلال القصص القرآني الذي يعتبر أسلوبا من أساليب الدعوة الإسلامية.

وقد اعتمد القرآن في دعوته إلى الإيمان بالبعث على منهج قويم يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس، ويقع منها تحت تأثير السمع والبصر، وبين ما تقرره العقول السليمة وتلك طريقة تميز بها القرآن الكريم في دعوته للإيمان بالبعث ومناقشته لمنكري البعث، فقد استدل القرآن على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم، وهي أدلة مادية حسية، وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم، كما استدل القرآن على البعث بالنشأة الأولى.

وكذلك الاستدلال بخلق السموات والأرض، مبينا أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، كما استدل القرآن في دعوته للإيمان بالبعث بالأدلة المشاهدة المحسوسة في خلق النباتات المختلفة، وإحياء الأرض بعد موتها، شأن ذلك شأن إخراج الموتى: ﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (الأعراف، الآية ٥٧)، فالذي يميت بعد الحياة، قادر على الإحياء بعد الممات.

لقد ركز القرآن الكريم في دعوته لمنكري البعث على الأدلة المتنوعة في الأنفس، والآفاق، ومزج في دعوته لمنكري البعث بين مناهج الدعوة، سواء المنهج الفطري، أم

المنهج العقلي، أم المنهج الحسي، وخاطب القلب والعقل معا وجادل المعاندين، وألزم المنكرين، وأرشد المترددين، وزاد المؤمنين إيمانا.

المبحث الأول : اهتمام القرآن الكريم بالبعث

إن من يمعن نظره في القرآن الكريم يرى من أول نظرة في أول سورة البقرة في الآيات الأولى منها قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ (البقرة، الآيات ١-٥). حيث يمدح الله عز وجل المتقين الذين من صفاتهم الإيمان بالغيب والبعث فهذا دليل الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة.

إن الإيمان بالبعث أحد أركان الإيمان الستة التي عليها تبنى عقيدة المؤمن فلا تتم العقيدة إلا به، ولا تصح إلا عليه قال تعالى: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ (البقرة، آية ١٧٧). ولأهمية هذا المعتقد في حياة المؤمن، عني به القرآن الكريم عناية لا تقل عن العناية بالإيمان بالله تعالى، فقد ذكره في عشرات السور منه، وفي مئات الآيات [٣٣، ص ٣٢٠]. وتبدو أهمية البعث في القرآن الكريم من خلال ربطه بالإيمان بالله: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡآخِرِ ﴾، ولا تكاد تخلو سورة منه، مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجة والبرهان، وتارة بضرب المثال. كما أن المتتبع لآيات القرآن، يجد أنه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة، وكل اسم منها يدل على معنى ما سيحدث من أهوال في هذا اليوم.

فهو يوم البعث، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الروم، الآية ٥٦).

والقيامة، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ (الزمر، الآية ٦٠)، والساعة، كما قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ (القمر، الآية ١)، ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحج، الآية ١)، والآخرة كما قال تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ (الأعلى، الآيتان ١٦-١٧)، والدين كما قال تعالى: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾(الفاتحة، الآية ٣)، أي: يوم الجزاء. والحساب، كما قال تعالى: ﴿ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾(غافر، الآية ٢٧). والفتح، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾(السجدة، الآية ٢٩). والتلاق: ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ۝ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ﴾ (غافر، الآية ١٥). والجمع والتغابن: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ (التغابن، الآية ٩). يوم يغبن فيه أهل الجنة أهل النار، ويقال يوم الذهول الذي يحل بين الناس لشدة الهول. والخلود ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾ (ق، الآية ٣٤)؛ والخروج: ﴿ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴾ (ق، الآية ٤٢)، والحسرة: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (مريم، الآية ٣٩)؛ والتناد: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ (غافر، الآية ٣٢)؛ والآزفة: ﴿ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾(النجم، الآيتان ٥٧-٥٨)؛ والطامة: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا سَعَىٰ ﴾ (النازعات، الآيتان ٣٤-٣٥)؛ والصاخة: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس، الآيات ٣٣-٣٦)، والحاقة: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝ مَا ٱلْحَآقَّةُ

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ (الحاقة ، الآيات ١-٣) ؛ والغاشية : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ (الغاشية ، الآية ١) ؛ والواقعة : ﴿ إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۞ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴾ (الواقعة ، الآيات ١-٣).

لذا اهتم القرآن الكريم بالبعث لأن مشركي العرب كانوا ينكرونه أشد الإنكار ، وأن أهل الكتاب وإن كانوا يؤمنون به ، إلا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد ، ولأن الإيمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية [٣٤ ، ص ص ٢٥٤-٢٥٨]. ومن اهتمام القرآن الكريم باليوم الآخر الذي فيه البعث نجد أنه يذكره مرة بوصفه في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۞ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۞ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۞ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۞ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (الحاقة ، الآيات ١٣-١٨).

ومرة بتقرير وتأكيد مجيئه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾(الحج ، الآيتان ٦-٧).

ومرة بتعليق الاستقامة على الإيمان به : ﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾(الطلاق ، الآية ٢) ، ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ﴾(الأحزاب ، الآية ٢١).

ومرة بإثبات الهداية والفلاح للموقنين به : ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة ، الآيتان ٤-٥).

فدلت هذه العناية القرآنية على أهمية الإيمان بالله واليوم الآخر ، لأنه رأس وأساس الإيمان ، وعليه مدار استقامة الإنسان [٣٣ ، ص ص ٣٢٠-٣٢٢ بتصرف].

لقد أفاض القرآن الكريم في الحديث عن يوم القيامة ، وما يجري فيه من أهوال وأحوال وأحداث وأبان في وضوح تام عن مواقفه ومشاهده : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج ، الآية ٢). وقارئ القرآن يدرك هذا الاهتمام الكبير الذي ناله اليوم الآخر، حتى تمثل في آياته بهذه المتابعة الملحة التي تضع أمام العين حقائق اليوم الآخر شاخصة يكاد المرء يراها لقوة ما تحمل من تعبير، بل لكأنها تمر أمامه وهو مشاهد لها في عجب ودهشة، وخوف وفزع، ويقين وإيمان بحدوث ما يعلنه القرآن العظيم.

وقد تعدد ذكر يوم القيامة في القرآن حتى أن لفظ "الآخرة" وحده ذكر خمس عشرة ومائة مرة.

وقد شرح القرطبي ما ورد في القرآن من أسماء القيامة في كتابه *التذكرة* ويعلل القرطبي هذه الكثرة في الأسماء بقوله: "وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، وهذا كلام العرب، ألا ترى السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائر.

فالقيامة لما عظم أمرها، وكثر أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف كثيرة [١٥، ص ٢١٤؛ ٣٥، ص ص ١٠٠-١٠١].

إن قضية البعث والنشور من أهم القضايا التي واجهت الدعوة الإسلامية في مبدئها، وذلك بعد أن قضى عجبهم من قضية التوحيد، فما صدقوا أن يجمع الآلهة في إله واحد، حتى يفاجئهم بقضية إعادة الحياة إلى أجسادهم بعد أن أصبحوا عظاما نخرة وقد سجل القرآن عليهم استغرابهم واستنكارهم بقوله عز و جل: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا ﴾ (الجاثية، الآية ٢٤).

ووصف الله سبحانه وتعالى شدة إنكارهم وسخريتهم من رسول الله عندما سمعوا القول لأول مرة بقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾ (سبأ، الآيتان ٧-٨).

وكان لابد لهذا الاستهجان من رد يوضح معنى الوعد الحق للذين لا يؤمنون بآيات الله، ويثبت إيمان المؤمنين، ويقوي يقينهم في ذلك اليوم الموعود، فجاءت أساليب العرض وطرائق التعبير كما حدث القرآن، ولعلنا ننظر نظرة في التعبير عن مواقف اليوم الآخر واستخدام القصة أسلوبا من أساليب الدعوة والتوجيه، فيشدنا النظر إلى أن ذلك هو أقرب الأساليب استخداما، وأن التحدث بهذا الأسلوب، إنما هو مما تفترضه طبيعة الموقف والأحداث الجارية لأنه نقل خبر غيبي، وهو أبعد قليلا عن الاسترسال فيه بالطريقة التقريرية النظرية.

وتدل هذه الكثرة في الإلحاح على السؤال عن أحداث اليوم الآخر لما يمثله من أهمية في ضمير المسلم، إذ أنه سؤال عن الحياة الباقية.

إن من تأمل نصوص الكتاب والسنة التي تحدثت عن اليوم الآخر، وجد الأهوال العظام، والمواقف التي لا يتحملها العقل البشري العادي ولا يطيقها صبر إنسان، لأن الموقف أكبر من أن تتحمله طاقة بشر[٣٥، ص ص ١١٥، ٣٧٠-٣٧١].

المبحث الثاني : الأدلة على البعث

١- الأدلة على البعث من القرآن الكريم

حفل القرآن الكريم بالآيات الكثيرة التي تخبر بالبعث وتؤكد عليه: قال تعالى:
﴿ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ (الأعراف، الآية ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴾(الأعراف، الآية ٢٥).

وقد قص القرآن الكريم علينا من أخبار السابقين ما يؤكد على وقوع البعث:
﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة، الآية ٢٤٣)، وقال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة، الآية ٢٥٩). وفي شأن أصحاب الكهف قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ (الكهف، الآية ١٩).

لقد تعددت أساليب القرآن الكريم، وتنوعت طرقه في إثبات قضية البعث، وقد أولى القرآن الكريم مسألة البعث أهمية خاصة بعد الإيمان بالله تعالى، لما لهذه القضية من أبعاد هامة في حياة الإنسان. قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ (يونس، الآية ٤).

إن أعظم الأدلة الدالة على وقوع المعاد إخبار الحق سبحانه بذلك، فمن آمن بالله، وصدق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور والجزاء والحساب، والجنة والنار وقد نوع الحق سبحانه أساليب الإخبار ليكون أوقع في النفوس وآكد في القلوب [٣٠، ص ٧٣].

١- ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخبارا مؤكدا "بأن" أو "بإن" واللام كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾(طه، الآية ١٥). وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ (الحجر، الآية ٨٥).

٢- وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (النساء، الآية ٨٦).

ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته كقوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (الذاريات، الآيات ١-٦).

٣- وفي بعض المواضع يأمر رسوله ﷺ بالإقسام على وقوع البعث وتحققه، وذلك في معرض الرد على المكذبين به المنكرين له كقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ (سبأ، الآية ٣).

٤- وفي مواضع أخرى يذم المكذبين بالمعاد كقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس، الآية ٤٥). وأحيانا يمدح المؤمنين بالمعاد: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة، الآيات ١-٥).

وأحيانا يخبر أنه وعد صادق [٣٠، ص ص ٧٥-٧٦] : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴾ (هود، الآيتان ١٠٣-١٠٤).

وتارة يبين الله عز وجل أن الحساب يوم القيامة عند الرجوع إلى الله سبحانه قال تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس، الآية ٢٣).

وقد بين الله تعالى أن البعث سيتحقق وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ (طه، الآية ٥٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾ (نوح، الآيتان ١٧-١٨).

٢- الأدلة على البعث من السنة النبوية

حفلت السنة النبوية المطهرة بالأحاديث الكثيرة التي تدل على البعث نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد."[٤]

وعن أبي رزين العقيلي -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله أكلّنا يرى ربَّه عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ أليس كلكم ينظر إلى القمر مخلياً به؟ قال: بلى، قال: فالله أعظم، قال: قلت يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه؟ قال: أما مررت بوادي أهلك محلاً؟ قال: بلى، قال: أما مررت به

---

٤ أخرجه البخاري [٣، جـ٦، ص ١١٥، رقم ٤٩٧٤].

تهزّ خضراً؟ قال: قلت: بلى، قال: ثم مررت به محلاً؟ قال: بلى، قال: فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آيته في خلقه.[٥]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: "لا تخيّروني على موسى، فإنَّ الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أوّل من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله."[٦]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رجلاً قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: "أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟"[٧]

المبحث الثالث: تقرير القرآن الكريم للبعث

إن منشأ استبعاد إعادة الحياة إلى الإنسان مرة أخرى، هو عدم إيمان منكري البعث، وضيق عقولهم، وقصور نظرتهم، وقياسهم القدرة الإلهية المطلقة على العجز الإنساني المطلق، فهم يرون حالة الإنسان بعد الموت، ثم يستبعدون رجوع الحياة إلى هذه الرفات مرة أخرى، وهو استبعاد ناشىء عن قصور العقل وعدم سلامة التفكير في هذه القضية، ذلك أن عقولهم في هذه الحال غاب عنها قدرة الله سبحانه التي لا يعجزها شيء، وغاب عنها كذلك أن تربط بين البدء والإعادة، ولو تساءلت كيف أوجد الله هذا الإنسان المخلوق العجيب ابتداءً وقد كان عدما، لرأت أن الذي قدر على إيجاد الإنسان من عدم على غير مثال يُحتذى قادر على إعادته إلى الحياة مرة أخرى.

---

٥ أخرجه أحمد [٣٦، جـ٤، ص ١١، رقم ١٦٢٣٧]، وأخرجه ابن أبي عاصم [٣٧، جـ١، ص ٤٤٧].

٦ أخرجه البخاري [٣، جـ٧ ص ٢٤٧، رقم ٦٥١٧]، وأخرجه مسلم [٤، جـ٤، ص ١٨٤٤، رقم ٢٣٧٣].

٧ أخرجه البخاري [٣، جـ٧، ص ص ٢٤٨-٢٤٩، رقم ٦٥٢٣].

ومن هنا أقام الله سبحانه براهين متعددة في كتابه العزيز لتقرير حقيقة البعث، ودفع ما لدى القوم -منكري البعث- من لبس وإشكال [١٧ ، جـ١ ص ص ١٩٨-١٩٩].

لقد عنيت السور المكية بقضية البعث عناية خاصة، فبسطت الأدلة والبراهين عليه، وعرضت شبهات المنكرين له، والمتشككين فيه في صور بيانية مختلفة ودعت إلى الإيمان به وترسيخه في النفوس بأساليب مختلفة ومناهج متعددة، وليس أدل على أهمية الإيمان بالآخرة من اقترانه بالإيمان بالله -عز وجل- في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾(البقرة، الآيات ١-٤). حيث جعل الله من صفات المتقين الإيمان بالغيب، والبعث من الأمور الغيبية.

لقد شغلت قضية البعث عقول الناس منذ أمد بعيد، وخاض فيها الفلاسفة وأهل الأهواء والملل كل على ما ارتآه.

كما كانت مسألة البعث والنشور وهي من كبرى موضوعات الدعوة من جملة ما كُذبت به رسل الله عليهم الصلاة والسلام، والمتأمل في قصص الأنبياء يجد أنهم عليهم السلام، سلكوا في إثبات البعث أقرب البراهين إلى قلوب الناس وأوضحها في عقولهم وفطرهم مما هو مشهود محسوس في صفحة الكون من تعاقب الليل والنهار وآثارهما، وجريان الشمس والقمر، وإحياء الأرض واخضرارها بعد الموت والهمود أثر نزول الغيث.

وهو منهج -فضلاً عن وضوحه وتقبل العقول والفطر السلمية له- يفحم المنكرين، ويقرب صورة البعث للمتشككين، ويثبت المؤمنين، ويزيدهم إيماناً [٢٩ ، ص ص٤٤٩-٤٥٠].

لقد نهج القرآن الكريم في استدلاله على إمكان البعث، وتحقق وقوعه منهجاً قويماً يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان، بما تشاهد وتحس ويقع منها تحت تأثير السمع والبصر، وبين ما تقرره العقول السليمة، ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة، وتلك طريقة تميز بها القرآن الكريم [٢١، ص ٣١٤؛ ٣٨، ص ص ٣٠١-٣٠٢].

إننا عندما نقلب النظر في تقرير القرآن الكريم للبعث، ورده على منكريه نجد أن القرآن الكريم في تقريره لتلك القضية الهامة والمصيرية ركز على الفطرة الإنسانية، تلك الفطرة التي خلقها الله نقية صافية، حتى وإن كان قد ران عليها غبار وأدران الجاهلية في فترة ما، فقد عمل القرآن على إزالة تلك الأدران من خلال التذكير بقدرة الخالق القادر في مقابل العجز الإنساني، الذي بسببه وقع منكرو البعث في عملية الإنكار، حينما حاولوا أن يزنوا الأمور بعقولهم المريضة، واحتكموا إلى فهومهم السقيمة التي أرادوا من خلالها تقييد المشيئة المطلقة.

لقد حفلت الآيات القرآنية التي ناقشت المنكرين للبعث بالمناهج الدعوية المتعددة، سواء المنهج الفطري الذي ركز على الفطرة السليمة، وعمل على توجيه أصحابها إلى الفكر والنظر في تلك الحياة من حولهم، وفيمن ماتوا ورحلوا عن الحياة، وشاء الله أن يبعثهم مرة أخرى لحكمة أرادها سبحانه وتعالى من خلال تلك الشواهد التي أوردها القرآن في سورة البقرة في الآيتين ٥٥-٥٦، وسورة الأعراف الآية ١٥٥، وأيضاً في سورة البقرة في الآيتين ٧٢-٧٣، والآيات ٢٤٣، ٢٥٩، ٢٦٠.

إن تجدد الخلق وظهور الحياة والموت في الإنسان والحيوان والنبات أمر واضح بين في الحياة من حولنا، وقد لفت القرآن الكريم أنظار الناس إلى ذلك مما هو مشهود ومحسوس في هذا الكون، وإن منهج الفطرة في الدعوة، منهج تتقبله العقول والفطر السليمة. هذا المنهج قُصد به، تقريب صورة البعث إلى عقول المنكرين له، وهذا المنهج

قام على مسلمات يقر بها من كان له عقل أو بصر أو سمع ، لأنه يقوم على حقائق ثابتة ، لا يماري فيها إلا الجاحدون المنكرون المعاندون.

وقد ركز القرآن الكريم على الأدلة المتنوعة ، في الأنفس وفي الآفاق ، في النفس البشرية وبدايتها ومراحل تكوينها ، وفي صفحة الكون من حولنا ، وقد اعتمد في ذلك على وسائل المعرفة في الإنسان من حواس في الإنسان وعقل يسترشد بتعاليم الوحي.

لقد مزج القرآن الكريم في دعوته لمنكري البعث بين مناهج الدعوة المتعددة ، سواء المنهج الفطري أم المنهج العقلي أم المنهج الحسي ، كل ذلك ليقرر حقيقة البعث.

لقد سلك القرآن الكريم أساليب شتى ، وتفنن في ضروب الهداية وطرق الإقناع لاختلاف مشارب الناس ، وتباين مقاصدهم ، وتفاوت مداركهم ؛ إن القرآن يخاطب العقل والقلب معا ، ويؤثر فيهما ، ويسلك في ذلك طرق الإقناع والتوجيه والإرشاد.

لقد جادل القرآن الكريم الخصوم ، فأفحم المعاندين ، وألزم المنكرين وأرشد المترددين الشاكين ، وأقنعهم بالدليل القطعي بصحة ما يدعو إليه. ومن مسالك القرآن في الرد على منكري البعث ما يلي :

قياس التمثيل

وهو إلحاق أحد الشيئين بالآخر ، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه ، أو على أمر بدهي لا تنكره العقول وبين الجهة الجامعة بينهما.

وقد سلك القرآن في استدلاله هذا المسلك على أدق وجه وأحكمه مقربا ما بين الحقائق القرآنية والبداهة العقلية ، وكثير من استدلالات البعث تقوم على تقريب البعث وقدرة الله عليه بما يرون من إنشاء الله لذلك الكون البديع ، وخلق الإنسان وبيان أطواره.

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(يس، الآيات ٧٨-٨١). وقوله تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ ﴾(ق، الآية ١٥). تجد في هذه الآيات الكريمة عقد المشابهة بين ابتداء الخلق وإعادته في أبلغ تعبير وأسلم تقرير، وأن في هذه الأمثلة وغيرها مما اشتمل عليه القرآن الكريم قياس ما في الغيب على المشاهد، وقياس ما بينه الله تعالى، وأوجب الإيمان به على ما هو واقع مرئي مشاهد، وفيه الدلالة الكاملة على قدرة الله تعالى، وأنه المالك لما هو واقع والقادر على ما لم يقع الآن، ويقع مستقبلا كما وعد، والله لا يخلف الميعاد [٢١، ص ص ٧٠-٧٩].

هذا على سبيل المثال لا الحصر؛ إن القرآن الكريم راوح في أساليب الدعوة من أجل إقناع منكري البعث فجادلهم وأقام الحجة والبرهان عليهم وأفحم المعاندين.

وقد اعتمد القرآن الكريم في استدلاله على ما فطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس دون عمل فكري عميق، ليكون ذلك أعمق أثرا وأبلغ حجة، وقد اشتملت أدلة القرآن الكريم وبراهينه على ما فطرت عليه النفوس، وما تشهد العقول بصحته.

فالقرآن الكريم في استدلاله، يفتح أمام العقل البشري آفاقا من الحكم والعظات، ويدخل على القلب أنواعا من الأحاسيس الوجدانية من تشويق وترقيق وتحذير[٢١، ص ص ١٠٦-١٠٧].

إن القرآن الكريم سلك في استدلاله على البعث طريقين: أحدهما حسي، والآخر عقلي.

أما الطريق الحسي

فهو دعوة الإنسان ليتأمل فيما يتكرر وقوعه في كل زمان ومكان من آيات القدرة التي يرى فيها خلقا من العدم، وحياة تنشأ بعد همود.

فمن ذلك تكوين الأجنة في الأرحام وتمام خلقها، وإحياء الأرض بعد موتها وفي كل منهما يشاهد الناس خلقا جديدا، وحياة بعد موت، ففيما العجب من أمر البعث.

وقد أشارت إلى هذين الدليلين الآيات من سورة الحج، التي ربطت بينهما وبين الإيمان بالبعث وهي قول الله سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (الحج، الآيات ٥-٧).

أما الطريق العقلي

إن حكمة الله سبحانه تأبى أن يكون خلق البشر عبثا لا طائل وراءه وعدل الله سبحانه يأبى أن يدع المظالم التي تقع بين الناس في الدنيا دون جزاء كما أن استخلاف الإنسان في الأرض، قد ألقى عليه المسؤولية في النهوض على ما قدم، وفي كل هذه المعاني تحدث القرآن بما يقطع كل شبهة، وما يرد كل اعتراض قال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾(المؤمنون، الآيتان ١١٥-١١٦)، فالذين يزعمون أنه لا بعث، إنما يريدون وصف هذه الحياة بالعبث ويرونها مهزلة لا حكمة لها، ولا غاية من ورائها، وذلك هو ظن الذين كفروا في كل زمان ومكان.

فلابد من البعث كما أخبر سبحانه لإقامة ميزان العدل، قال سبحانه: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ

عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (القيامة، الآيات١-٦). وقوله سبحانه: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (التغابن، آية ٧).

وهذه الآية تحوي دليلا عقليا على ضرورة البعث، فهي تفند مزاعم الكفار الذين خدعوا أنفسهم بأن لا حياة بعد الموت. إن العلم الصحيح بالكون يزيد الإنسان إيمانا ويقينا، بشرط أن يبرأ من الجحود، وأن يكون سليم الفطرة، صحيح الإدراك. أما ظلمة المادية، فإنها تحجب الإنسان عن الإيمان، مهما كان حظه من العلم بالكون والمعرفة ولهذا قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾(الروم، الآية ٧).

وهؤلاء مدعوون للتفكر في أنفسهم، وفي الكون من حولهم، ليعلموا أنه لابد من حكمة لهذا الوجود [٣٩، ص ص١٦١-١٦٨].

إنه لا بد من وجود تصور صحيح مبني على أسس سليمة لدى كل إنسان عن قضية الوجود، وهذا التصور الصحيح والسليم لا يوجد إلا في القرآن الكريم، فالوجود في الإسلام نوعان:

١- وجود مشهود.

٢- وجود غيبي.

ففيما يتعلق بالوجود المشهود، نجد أن العقل له أن يفكر في الكون وما فيه من آيات كونية: أرض وسماء، وليل ونهار، وبحار وأنهار وجبال ووديان... إلخ ما يقع تحت المشاهدة والسمع والحس ويدرك بالعقل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ

وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة، الآية ١٦٤).

فهذه الدلائل الكونية وغيرها مما لم يذكر في هذه الآية ندركها بعقولنا ونلمسها بحواسنا.

وإذا كان الإيمان بهذا الوجود مطلبا أساسيا وضروريا، حيث إنه من الأمور العقدية التي تجعل الإنسان ينظر ويتفكر في خلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران، الايتان ١٩٠-١٩١)، لأن الكون مسخر للإنسان فلابد من التأمل والتدبر، وكذلك استثمار ما في الكون من منافع وخيرات.

وأما الوجود الغيبي، وهو الوجود الذي غيبه الله عنا، ولم ندركه بعقولنا ولم نشاهده بحواسنا، بل نؤمن به من خلال ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما جاء به نبينا محمد ﷺ عن طريق الوحي، ومن ذلك: الإيمان بالبعث والحشر والحساب والجنة والنار، وكل الأمور الغيبية التي لا يستلزم إدراكها نفيها، فإن الله عز وجل قربها إلى أذهان البشر من خلال الشواهد والاستدلالات القرآنية على سبيل المثال – وقد ذكرنا ذلك سلفا في معرض الحديث عن تقرير القرآن للبعث- الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم، مثلما ما ورد في سورة البقرة ، وبإحياء الأرض بعد موتها، الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى وكذلك بخلق السموات والأرض، وحصول اليقظة والنوم. كل ذلك من الأمور العقلية التي تدرك وتشاهد، ومن خلال ذلك تستقر قضية البعث في

أذهان الناس، لأن الاستدلالات التي استدل بها القرآن في تقرير البعث، تعتبر محل تسليم لدى كافة العقلاء، الذين لا يسيطر عليهم الإنكار والجحود.

لقد كان التكذيب بالبعث آفة أصابت البشرية في كل العصور، ومن هنا أكد القرآن الكريم الرد على هذه المفتريات في مواطن كثيرة.

فمنذ القدم كان الكفار يقولون كما ذكر القرآن الكريم عنهم: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ۝ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾(المؤمنون، الآيات ٣٥-٣٧).

وهكذا يتبجح الكفر حتى ينكر الحقائق، ويجحد المسلمات، ثم بعد ذلك يؤكد هذا الجحود، ويحاول أن يجعل منه عقيدة ومبدأ، وما هو إلا الجهالة والتكذيب.

إنه العبث الذي من أجله ينكر هؤلاء القيامة والنشور، بل هو حب الفجور يغريهم بذلك الإنكار كما قال سبحانه: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾(القيامة، الآيتان ٥-٦).

بل إن سورة في القرآن قد سميت باسم القيامة، وتبدأ بهذا القسم المؤكد لا أقسم بيوم القيامة، والحكمة في تأكيد هذا القسم بالنفي، إن المعنى: أن ذلك أمر ثابت مؤكد لا يحتاج إلى قسم، وإنما أقسم الله سبحانه بهذا اليوم تأكيداً لوقوعه وتعظيماً لأمره، ولفتاً إلى ما يجب من الاستعداد له والعمل من أجل النجاة من غمراته. والمراد بالإنسان في قوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ (القيامة، الآية٣). الكافر الذي يستصعب بعقله القاصر جمع عظامه، بعد أن أصبحت رفاتاً، ويجيب الحق سبحانه بأنه أمر هين، بالنسبة إلى قدرة الله سبحانه أنّ البعث: ﴿ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ (القيامة، الآية ٤) والبنان هو طرف الإصبع وما فيه من تعاريج يتميز بها إنسان عن آخر، فالله سبحانه قادر على جمع العظام وإعادة الإنسان كما كان.

وتصور الآيات حال هذا الإنسان المنكر في هذا اليوم العصيب، حين يجد علامات الساعة، ويعاين مشاهد البعث فماذا هو صانع: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾(القيامة، الآيات ٧-١٣).

فما أشد حيرة هؤلاء المنكرين في هذا اليوم، وما أشد ذعر هذا المكذب الذي يقول في ساحة البعث: ﴿ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾.

لقد كان أمام هؤلاء الفرصة الكافية لو كانوا يعقلون: ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ ﴾(الروم، الآية ٥٦).

فها هم قد بلغوا الأجل، وشاهدوا ما كانوا ينكرون من قبل [٣٩، ص ص ١٧٠-١٧١].

وقد جاء تقرير القرآن الكريم للبعث عبر استدلالات كثيرة سنعرض إلى بعضها.

المبحث الرابع: الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم

لقد استدل القرآن الكريم على إماتة بعض الأحياء ثم إعادتهم إلى حياتهم مرة ثانية ومن ذلك:

١- قوم موسى

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة، الآيتان ٥٥-٥٦).

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله: قال أبو جعفر عن الربيع بن أنس: هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه الصلاة والسلام فساروا معه، قال فسمعوا كلاما، فقالوا:

﴿ لن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ قال فسمعوا صوتا فصعقوا يقول: ماتوا، قال الشعبي رحمه الله: فأخذتكم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله، ويقول: رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم "لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا"[١٢، جـ١، ص ٩٩؛ ٤٠، جـ١، ص ٤٠٣]، فأوحى الله إلى موسى عليه الصلاة السلام أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل، ثم إن الله سبحانه أحياهم فقاموا وعاشوا رجل رجل أينظر بعضهم إلى بعض! كيف يحيون قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة، الآية ٥٦).

وقال الربيع بن أنس رحمه الله: "كان موتهم عقوبة لهم، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم" [١٢، جـ١، ص ٩٩؛ ٤٠، جـ١، ص ٤٠٣].

٢- المضروب بعضو من أعضاء البقرة

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(البقرة، الآيتان ٧٢-٧٣).

قال أبو العالية: أمرهم موسى عليه السلام، أن يأخذوا عظماً من عظامها، فيضربوا به القتيل، ففعلوا، فرجع إليه روحه، فسمى لهم قاتله ثم عاد ميتا كما كان وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾، أي: فضربوه فحيا، ونبه تعالى على قدرته وإحيائه الموتى بما شاهدوه من أمر القتيل، وجعل تبارك وتعالى ذلك الصنع حجة لهم على المعاد، وفاصلاً ما كان بينهم من الخصومة والفساد، والله تعالى قد ذكر في هذه السورة ما خلقه في إحياء الموتى في خمسة مواضع: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ (البقرة، الآية ٥٦)،

وهذه القصة، وقصة الذين ﴿ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ (البقرة، الآية ٢٤٣)، وقصة ﴿ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾، وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور الأربعة، ونبه تعالى بإحياء الأرض بعد موتها على إعادة الأجسام بعد صيرورتها رميما [١٢، جـ١، ص ١٢٠].

٣- الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

فقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾(البقرة، الآية ٢٤٣)، وهؤلاء من بني إسرائيل، وقع فيهم الوباء ففروا هاربين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون، وقالوا نأتي أرضا ليس بها موت، فأماتهم الله تعالى، فمر بهم نبي فدعا الله فأحياهم [٤٠، جـ٣، ص ٢٣٠]. يقص الله علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم، واتفاق مقاصدهم بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو غيره، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغني حذر عن قدر ﴿ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ﴾ فماتوا "ثم" إن الله تعالى "أحياهم" إما بدعوة نبي أو بغير ذلك، رحمة بهم ولطفا وحلما، وبيانا لآياته لخلقه بإحياء الموتى ولهذا قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، أي: عظيم [٣٢، ص ص ١٠٦-١٠٧] ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

٤- الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها

فقد أخبر الله عنه بقوله: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ

كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (البقرة، الآية ٢٥٩). والذي مر على القرية هو "عزير" عليه السلام، قال ابن كثير رحمه الله: "وهذا هو القول المشهور." والقرية المشهورة هي بيت المقدس، مر عليها عزير بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها [١٢، جـ١، ص ٣٣٧؛ ٢١، ص ٣١٤].

٥- سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(البقرة، الآية ٢٦٠).

قال الشيخ السعدي - رحمه الله: وهذا فيه أيضا أعظم دلالة حسية على قدرة الله وإحيائه الموتى للبعث والجزاء، فأخبر تعالى عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه ببصره كيف يحيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى ولكن أحب أن يشاهده عيانا ليحل له مرتبة عين اليقين، فلهذا قال الله له: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ (البقرة، الآية ٢٦٠)، وذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان، ويسعى في نيله أولوا العرفان [٣٢، ص ١١٢].

٦- حال عيسى عليه السلام

فقد أخبر الله به عن عيسى عليه السلام من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله كما قال تعالى: ﴿ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران، الآية ٤٩).

٧- قصة أصحاب الكهف

فقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾(الكهف، الآيتان٩-١٠).

قال ابن كثير رحمه الله: قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة، فقد قالت طائفة منهم: تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد، فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك [١٢، جـ٣، ص ص ٨٦-٨٧]. وكل هذه الأدلة التي تقدم ذكرها، أدلة مادية حسية، وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى، بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على قدرة الخالق جل جلاله على إمكان البعث. وقد أخبر الله تعالى ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام عن وقوع البعث والحشر، فوجب القطع بذلك لأنه أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته [٢١، ص ص ٣١٤-٣١٧].

المبحث الخامس: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى

١ - قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ

لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾(الحج ، الآيات ٥-٧).

في هذه الآيات دليلان على إمكان البعث أحدهما دليل في الأنفس ، والآخر دليل في الآفاق ؛ فأما الدليل الذي في الأنفس ، فهو ما اشتمل عليه صدر الآية ، وهو متعلق بالنشأة الأولى ، وأما الدليل الآفاقي فهو قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ (الحج ، الآية ٥). وهو الاستدلال بخلق النبات على إمكان البعث [٢١ ، ص ٣١٨].

يقول الشوكاني -رحمه الله- حول معنى قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾(الحج ، الآية ٥) والمعنى : إن كنتم في شك من الإعادة فانظروا في مبدأ خلقكم ، أي خلق أبيكم آدم ، ليزول عنكم الريب ، ويرتفع الشك ، وتدحض الشبه الباطلة ، ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ ، هذه حجة أخرى على البعث ، فإنه سبحانه احتج بإحياء الأرض بإنزال الماء على إحياء الأموات ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ لما ذكر افتقار الموجودات إليه سبحانه ، وتسخيرها على وفق إرادته واقتداره. قال بعد ذلك هذه المقالات وهي إثبات أنه سبحانه الحق ، وأنه المتفرد بإحياء الموتى ، وأنه قادر على كل شيء من الأشياء ، والمعنى : أنه المتفرد بهذه الأمور ، وأنها من شأنه لا يدعي غيره أنه يقدر على شيء منها ، فدل سبحانه بهذا على أنه الحق الحقيقي الغني المطلق ، وأن وجود كل موجود مستفاد منه ، والحق هو الموجود الذي لا يتغير ولا يزول [٣١ ، جـ٣ ، ص ٤٣٥].

٢- قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (يس ، الآيتان ٧٨-٧٩).

قال مجاهد ، وعكرمة ، وعروة عن الزبير ، والسدي ، وقتادة : جاء أبي بن خلف إلى رسول الله ﷺ ، وفي يده عظم رميم وهو يفته ، ويذروه في الهواء ، وهو يقول يا محمد

أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال رسول الله ﷺ: "نعم يميتك الله تعالى، ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار." ونزلت هذه الآيات من آخر سورة يس، وعلى كل تقدير سواء أكانت الآيات نزلت في أبي بن خلف أو في العاص بن وائل أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث.

ولهذا قال: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾، أي: استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والأرض للأجساد والعظام الرميمة، ونسي خلقه، وأن الله خلقه من العدم، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده، ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ أي يعلم العظام في سائر أقطار الأرض، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت.

قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا عفان، حدثنا أبو عوانة، عن عبدالملك بن عمير، عن ربعي قال: قال عقبة بن عمرو لحذيفة ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال: سمعته يقول إن رجلا حضره الموت، فلما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا جزلا ثم أوقدوا فيه نارا، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت، فخذوها فذروها في اليم، ففعلوا، فجمعه الله إليه فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: خشيتك. فغفر الله له، فقال عقبة بن عمرو! وأنا سمعته يقول ذلك، وكان نباشا وقد أخرجاه في الصحيحة من حديث عبدالملك بن عمير، بألفاظ كثيرة [١٢، جـ٣، ص٦٤٠].

٣- قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾(الإسراء، الآيات ٤٩-٥١).

إن شبهات المنكرين للبعث تكاد تكون متجانسة، لأنها تدور حول استبعاد جمع الأجزاء بعد تفرقها، وإعادة الحياة إليها بعد فنائها، وهذه الشبه لا تكون إلا بالقدح في كمال علم الله المحيط بكل شيء، وكمال قدرته على كل شيء، وقد قام البرهان على كمال العلم والقدرة لله تعالى، فلا وجه للاستبعاد والاستغراب بعد ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۞ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾ ، يعني: أنكم مهما تفرقتم، وعلى أية حال كنتم، فالله قادر على بعثكم وإعادتكم حتى لو تحولتم إلى حجارة أو حديد فالله قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى مع أن المنافاة بين الحجرية والحديدية، وبين قبول الحياة أشد من المنافاة بين العظمة وبين قبول الحياة، وذلك أن العظم قد كان جزءا من بدن الحي أما الحجارة والحديد فما كانا البتة موصوفين بالحياة، وفي قوله: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ استدلال بالنشأة الأولى على الثانية، وهذا هو الشاهد من الآية[٢٦، جـ٢٠، ص ٢٢٦].

إن مشركي مكة أنكروا حقيقة البعث لأنهم عاجزون عن الفهم بأن ثمة القدرة التي تستطيع إعادة الحياة لجسم الإنسان الذي صارت أوصاله ترابا وعظاما رميما، وهم يركزون على العظام لأنها قوام البدن، وحينما يعتريها البلى، فذلك يعني أن البلى قد سبق إلى غيرها، مما يتكون منه الجسم ويرتبط بالعظام.

وأحيانا تكون نظرة هؤلاء لجسم الإنسان بعد الموت من زاوية مغايرة قليلا العظام وغيرها في آن واحد، وهم يلاحظون أن البلى يتأخر تمكنه من العظام عن تمكنه من سواها، يبدو ذلك من مثل قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾(الواقعة، الآيتان ٤٧-٤٨).

ومن البين أن السبب في إنكار هؤلاء المشركين للبعث ونظرتهم المستكثرة إعادة الحياة للأجسام، هو أنهم لم يفطنوا إلى حقيقة وجودهم نطفة أساسا حتى غدوا مبينين في الخصام والجدل، ولو أنهم أعطوا المسألة ما تستحق من اهتمام لانتهوا إلى أنها بمنزلة إعادة عمل الشيء نفسه.

وقد جرت العادة في عرفنا أن عمل الشيء مرة ثانية، أهون من عمله ابتداء ولله المثل الأعلى، وبالنسبة لله تعالى، فإنه يتساوى العملان لديه في اليسر والقدرة والمكنة قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الروم، الآية ٢٧).

وإذا كان مشركو مكة يستكثرون إعادة الحياة لجسم الإنسان الذي تمكن فيه الفناء، فإن القرآن الكريم يقابل سؤال المشركين التعجبي بما هو أعجب، وعلى جهة التعالي والترقي بأن يطلب إليهم إن استطاعوا أن يكون قوام أبدانهم ليست العظام إنما هو أصلب منها وأشد، وأبعد من العظام في تصور الإعادة للحياة، أن يكون قوام أبدانهم الحجارة أو الحديد، أو أي شيء آخر يكبر في صدورهم، ويعتقدون أنه ألصق باستحالة إعادة الحياة إليه، إنه عز وجل قادر على إعادة الحياة إليهم، ولا يخفى أن مقابلة سؤال المشركين التعجبي بما هو أعجب، إنما يراد به حث مشركي مكة على تصحيح نظرتهم الخاطئة القاصرة التي تستأثر منفردة بكل اهتمامهم وتفكيرهم، دون أن يكون معها تلك النظرة الأخرى التي تعتبر صنواً لها ومساعدة على أن تكون نظرة صحيحة ومنصفة وذات جدوى.

إنهم بحاجة إلى أن ينظروا إلى نقطة البداية، حيث قد خلقوا، ولم يكونوا من قبل شيئاً[٤١، ص ص ١٩٣-١٩٤ بتصرف]، خلق الله الإنسان من العدم، ولم يكن شيئاً مذكورا، ومن ثم فالإعادة أهون وأيسر، ووقتها سينتهون حتماً إلى أن البعث بعد الموت حقيقة لا ريب فيها وأن الثواب والعقاب ملازمان له، وأنه عز وجل لم يخلقنا عبثاً، قال

تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(المؤمنون، الآية ١١٥). ولكن موقف مشركي مكة هو التشكك والرفض دائما، وهذا هو موقفهم من الجواب الحاسم على سؤالهم الإنكاري.

قال تعالى: ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾(الإسراء، الآية ٥١).

ويجدر الوقوف عند قوله تعالى ردا على استفهام المشركين عن موعد اليوم الآخر ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ (الإسراء، الآية ٥١).

إن ثمة قاعدة كلية يمكن أن يندرج تحتها كل ما سيقع في المستقبل، ويمكن إيجازها في القول المشهور: "كل آت قريب." وإذا كان ذلك يصدق على اليوم الآخر، فإن ثمة بعض الملابسات المتعلقة بهذا اليوم الآخر والمسعفة على فهم المعاني العميقة التي يتضمنها الجواب في الآية الكريمة: ﴿ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾.

وأول ما ينبغي الوقوف عنده الحقيقة المقربة لمعنى الموت، ألا وهي حقيقة النوم الذي يعتبر صنوا للموت، وقد جاء بشأن كل من الموت والنوم قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. فما الذي يمكن أن يفهم من تماثل في هذه الآية الكريمة بين الموت والنوم؟ بما أن النائم مهما طال نومه لا يحس بوجوده هو ووجود الزمن إلا بعد أن يستيقظ، فمعنى هذا أن هذه الحالة أو شبيها بها هي التي يمر بها من توفاه الله تعالى إلى أن يبعث مرة أخرى يوم القيامة.

وينبغي أن يلاحظ أننا تجاوزنا سؤال القبر أو عذابه وما إلى ذلك مما تصادف النفس الإنسانية التي يتوفاها الله تعالى.

وما دمنا عرفنا أن الزمن لا وجود له بشأن كل من الميت والنائم، فإنا نستطيع أن نفهم المغزى لهذا القول: "من مات قامت قيامته."

حيث إن الميت أو من في حكمه لا يشعر بمرور الزمن، سواء أكان ذلك الزمن مجرد ثوان أو قرونا عدة، وبما أن الاستيقاظ بشأن النائم والبعث بشأن الميت حاصلان مستقبلا، فكل آت قريب [٤١، ص ص ١٩٤-١٩٥].

٤- قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ (مريم، الآية ٦٦).

يخبر تعالى عن الإنسان أنه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(الرعد، الآية ٥).

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾(يس، الآيات ٧٧-٧٩).

وقال ها هنا: ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ (مريم، الآية ٦٦).

يستدل تعالى بالبداءة على الإعادة، يعني أنه تعالى قد خلق الإنسان ولم يك شيئا، أفلا يعيده وقد صار شيئا، كما في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾(الروم، الآية ٦٦).

وفي *الصحيح*: يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني، وآذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني، أما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من آخره، وأما أذاه إياي فقوله: إن لي ولدا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد[١٢، جـ٢، ص ٦٢٧]. إن القرآن الكريم

يرد على كل منكر ويجادله في أسلوب هادئ محكم فيلزمه الحجة الواضحة[٢١، ص ٣٢٥].

المبحث السادس: الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان

لا جرم أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فهي أضخم جرما وأعظم تكوينا، بل لا نسبة بين الإنسان في خلقه ومهانة أصله، وبين السموات المرفوعة بلا عمد والأرض المثبتة بالوتد.

والاستدلال القرآني على البعث بخلق السموات والأرض، يؤسس على تقرير قدرة الله المطلقة، ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(يس، الآيات ٨١-٨٣). ولقد دعا السياق القرآني إلى الاستدلال بخلق السموات والأرض على إمكانية البعث والنشور في مواضع عديدة على ضوء مقررات المفهوم الإيماني للقدرة الإلهية.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (الإسراء، الآية ٤٩) وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (الإسراء، الآية ٩٩).

وقال داعيا إلى استشعار عظم قدرته في خلقه هذه الأكوان وتصرفه فيها: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ

مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ (سبأ، الآيات ٧-٩).

وقال مبينا أصل الإنسان، وأنه جزء بسيط من أجزاء هذا الكون المترامي الأطراف: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (الصافات، الآية ١١) [٢٩، ص ص ٤٥٢-٤٥٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله : فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك [١٦ ، جـ٣، ص ٢٩٩].

المبحث السابع: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة

١- قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف، الآية ٥٧).

٢- وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ (فاطر، الآية ٩).

ففي قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ أي مثل ذلك الإخراج، وهو إخراج الثمرات، نخرج الموتى من القبور يوم حشرهم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، أي: تتذكرون فتعلمون بعظيم قدرة الله وبديع صنعته وأنه قادر على بعثكم، كما قدر على إخراج الثمرات التي تشاهدونها [٣١، جـ٢، ص ٢٢٣].

ففي الآية الثانية: يخبر الله سبحانه عن نوع من أنواع بديع صنعته وعظيم قدرته ليتفكروا في ذلك، وليعتبروا به. وفي قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾، أي: كذلك يحيي الله

العباد بعد موتهم. كما أحيا الأرض بعد موتها، والنشور: البعث من نشر الإنسان نشورا، أي: مثل إحياء موات الأرض إحياء الأموات فكيف تنكرونه، وقد شاهدتم غير مرة ما هو مثله وشبيه به [٢٩، جـ٤، ص ٣٣٠].

وقد ورد في السنة ما يدل على أن الله ينزل المطر على الموتى فيحيون بإذن الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما بين النفختين أربعون ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس في الإنسان شيء إلا بلي إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب، منه يركب الخلق يوم القيامة."[8]

قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾(الرعد، الآيتان ٤-٥).

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ ﴾ من تكذيب هؤلاء المشركين بأمر المعاد مع ما يشاهدونه من آيات الله سبحانه ودلالاته في خلقه على أنه القادر على ما يشاء، ومع ما يعترفون به من أنه ابتداء خلق الأشياء فكونها بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، ثم هم هذا يكذبون خبره في أنه سيعيد العالمين خلقاً جديداً، وقد اعترفوا وشاهدوا ما هو أعجب مما كذبوا به، فالعجب من قولهم: ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾، وقد علم كل عالم وعاقل أن خلق السموات والأرض، أكبر من خلق الناس، وأن من بدأ الخلق، فالإعادة سهلة عليه [١٢، جـ٢، ص ٥٤٩].

---

٨ أخرجه البخاري [٣، جـ٦، ص ٤٠، رقم ٤٨١٤]، وأخرجه مسلم [٤، جـ٤، ص ص ٢٢٧٠ – ٢٢٧١، رقم ٢٩٥٥].

وفي قولـه تعالى: ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ إشارة إلى أن العجب يكون من إنكارهم لا من البعث، ومعناه: إن كان لك عجب من شيء فمن إنكارهم البعث، فاعجب لأن العجب ما ندر وجوده، وخفي سببه، وليس البعث مما ندر، وهم يشاهدون إحياء الأرض بعد موتها، واكتساء الأشجار بعد عريها، وعود النهار بعد زواله، والليل بعد ذهابه وإخراج الحي من الميت والميت من الحي [٢١، ص ٣٢٧].

ودلالة إحياء الأرض بعد موتها على البعث تتبين من خلال ما يلي:

١- صعود الماء إلى السماء ثم نزولـه على هيئة مطر، دليل القدرة، إذ الماء ثقيل بطبعه، وصعوده إلى أعلى خلاف المألوف، فمن قدر على طبيعة الماء، فهو قادر على أن يعيد الحياة إلى الجسم الذي بلي، وأصبح تراباً.

٢- إن الماء بعد تبخره تتفرق أجزاؤه، ثم يجمعها الرب عز وجل مرة أخرى، فتنزل مجتمعة، فمن جمعها فلاشك أنه قادر على جمع ما تفرق من أجزاء الإنسان بعد موته.

٣- إن خروج النبات من الأرض، إنما هو لحاجة العباد إليه في معاشهم وكذلك تسيير السحاب والرياح، إنما هو لمصلحة العباد، فكذلك بعثهم وحشرهم، إنما هو لمصلحتهم ولمجازاتهم بما عملوا.

٤- إن إنكارهم للبعث، ناتج عن قصور إدراكهم عن إعادة الإنسان بعد موته، وبعد أن أصبح رميماً، فلفت الحق جل وعلا أنظارهم إلى الأرض اليابسة، فهي أشد جموداً وخموداً، ومع ذلك تفتتت بالنبات الأخضر، وأينعت أطرافها، وعادت لها الحياة والنمو، فكذلك الإنسان [٤٢، ص ٣٩٧].

٥- الاستدلال على إمكان البعث بحصول المتضادين؛ إن الإحياء بعد الموت لا يستنكر من حيث إنه يحصل الضد بعد حصول الضد، إلا أن ذلك غير مستنكر في قدرة الله تعالى، لأنه لما جاز حصول الموت عقيب الحياة، فكيف يستبعد حصول الحياة مرة

أخرى بعد الموت؟ فإن حكم الضدين واحد كما قال تعالى مقررا لهذا المعنى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ (الواقعة، الآية ٦٠)، وقال تعالى: ﴿ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (يونس، الآية ٥٦)، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴾(النجم، الآيات ٤٣-٤٥).

فالذي أمات بعد الحياة قادر على الإحياء بعد الممات، وهذا ظاهر الدلالة، وكذلك خلقه تعالى للمتضادات، فيه دليل على وقوع البعث، إذ أن منكريه يستبعدون عودة الحياة إلى عظام قد بليت وأصبحت رفاتاً.

المبحث الثامن: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾(يس، الآية ٨٠)، أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً ذا ثمر وينع ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء[١٢، جـ٣، ص ٦٤٠].

لقد نبه سبحانه على وحدانيته، ودل على قدرته على إحياء الموات بما يشاهدونه من إخراج النار المحرقة من العود الندي الرطب [٣١، جـ٤ ، ص ٣٧١]. فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك [٣٢، ص ٧٠٠].

الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون، الآية ١١٥)، أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصد، ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ، أي: لا تعودون في الدار الآخرة [١٢، جـ٣، ص ٢٨٦].

أقام الله سبحانه في هاتين الآيتين البرهان على ما ينكره الكفار من البعث والجزاء، وأن دار الجزاء هي التي يفصل الله فيها بين الخلائق، وينال فيها كل إنسان جزاء ما قدم، ويتميز فيها الطائع عن العاصي، وتنكشف فيها الحقائق التي كان الكفار يجادلون في شأنها. وبدون البعث والجزاء، يكون خلق الإنسان عبثاً ولما كان حال الكفار، من إعراضهم عن توحيد الله وعبادته، وعدم الإيمان برسله حال من يظن العبث في الخلق، حتى صاروا يتطاولون على المؤمنين القائمين بحق العبودية لله، المهتدين بشرعه، والمقتدين برسله، ويسخرون منهم ويعتدون عليهم، ناداهم الله سبحانه بقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾، أي: ظننتم أنا خلقناكم عبثاً ولعباً، دون مراعاة أي حكمة من وراء الخلق؟ كلا، لقد خلقناكم لحكمة وهي: أن نتعبدكم ونكلفكم من الأعمال ما يتميز به الطائع من العاصي، ثم نعيدكم إلينا، فإنه لا مفر لكم بعد نهاية هذه الحياة إلى أحد سوى الله الواحد القهار، وحينئذ تنتقلون من دار الدنيا إلى دار الحساب والجزاء، وتتكامل بذلك الحكمة الإلهية من الخلق وينتصف المظلوم من الظالم [١٧، جـ١ ص ص ٢٣٢-٢٣٣].

إن الجزاء في الآخرة أمر تقضي به الحكمة، ولا يمكن لإله حكيم أن يخلق ذلك الخلق الواسع من سماء وأرض، وما بينهما، وما فيهما، ثم لا يجعل للناس حياة يوضع فيها الميزان القسط، ينقلب فيها القوي ضعيفاً، والضعيف قوياً، وترجح فيها كفة العمل الصالح على كفة الفساد، ذلك ما تقتضيه الحكمة وتتطلبه المصلحة. والإشارة في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (ص، الآية ٢٧). إلى إنكار الجزاء في الآخرة، وعدم الإيمان بتلك الحياة، وبيان أن ذلك الزعم هو ظن الذين كفروا، وسماه ظناً لأنه لم ين على دليل، بل هو قول توارثوه عن آبائهم وأجدادهم، لقد أقام الله تعالى البرهان والدليل على أنه لم يخلق الناس عبثاً، ولم يتركهم سدى وأن ذلك منافٍ للحكمة، ولا غنى لهم عن حياة وراء هذه الحياة. ولو لم يكن هناك جزاء، لكان

ذلك تسوية بين الخبيث والطيب، والمصلح والمفسد، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا [٤٣، ص ص ٣٣٢-٣٣٤].

المبحث التاسع : الاستدلال على البعث بحصول اليقظة بعد النوم

إن النوم أخو الموت واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت، ولهذا جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الزمر، الآية ٤٣). فيخبر الله تعالى أنه المتفرد بالتصرف بالعباد في حال يقظتهم ونومهم، وفي حال حياتهم وموتهم فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾، وهذه الوفاة الكبرى هي: وفاة الموت، وإخباره أنه يتوفى الأنفس، وإضافة الفعل إلى نفسه، لا ينافي أنه قد وكل بذلك ملك الموت وأعوانه، وقوله: ﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ وهذه الموتة هي: الصغرى، أي: ويمسك النفس التي لم تمت في منامها ﴿ فَيُمْسِكُ ﴾ من هاتين النفسين النفس التي قضى عليها الموت وهي نفس من كان مات، أو قضى أن يموت في منامه، ﴿ وَيُرْسِلُ ﴾ النفس ﴿ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ، أي: إلى استكمال رزقها وأجلها [٣٢، ص ص ٧٢٥-٧٢٦]. إن الإنسان في نومه لا يشعر بوجوده، ولا يشعر بمرور الزمن إلا بعد اليقظة، والإنسان بعد موته وقبل بعثه، لا يشعر بمرور الزمن والشاهد على عدم شعور الميت بالزمن كما في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ

إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (البقرة، الآية ٢٥٩).

وكذلك قصة أصحاب الكهف والسنين التي لبثوها في كهفهم ولم يشعروا بذلك: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ ﴾ (الكهف، الآية ١٩).

ويخبر الله عن المدة الحقيقية التي لبثوها في كهفهم فيقول: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴾(الكهف، الآية ٢٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ وعلى صحبه ومن تبعه بإحسان واقتفى أثره إلى يوم الدين، أما بعد.

فإن القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزله الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ هداية للعالمين، وقد حفلت آيات القرآن الكريم بالدعوة إلى الله عز وجل، وهداية الناس للتي هي أقوم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

لقد تضمن هذا البحث -دعوة منكري البعث- الحديث عن عقائد الناس في البعث، وعرضا لتصورات المشركين للبعث، وأهم شبهاتهم والرد عليها، وأبرز البحث اهتمام القرآن الكريم بالبعث من خلال ما ورد من آيات في هذا الصدد، وتنويع الحديث عن البعث، مما يؤكد اهتمام القرآن الكريم بأمر البعث.

وقد أبرز البحث الأدلة المتنوعة التي استدل بها القرآن الكريم في دعوته لمنكري البعث، وأبرز تميز القرآن الكريم في دعوته لتلك الفئة من الناس، حيث ركز على الأدلة المادية والمحسوسة التي تعتبر من الأدلة الهامة بالنسبة لتلك الفئة - المنكرين- الذين يعولون على الماديات في أغلب أحوالهم، وهذا مما يستفاد منه في دعوة القرآن الكريم لمنكري

البعث، بأن يهتم الدعاة في دعوتهم للملاحدة بالأدلة المادية وكذلك الأدلة العقلية التي تعتبر من أهم ما يتأثرون به، ولعل من أهم النتائج التي توصل إليها البحث ما يلي:

١- عناية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بدعوة منكري البعث، واستخدامهما لعدد من الأدلة المتنوعة في الأنفس والآفاق مما أحدث آثارا إيجابية وحميدة في مجال الدعوة.

٢- قيام الرسل -عليهم الصلاة والسلام- بواجب الدعوة إزاء منكري البعث، وإصرارهم على دعوتهم إياهم بالحسنى.

٣- أهمية العناية بدعوة الملاحدة والمتأثرين بهم، ومنكري البعث لأنهم شريحة من شرائح المجتمع وربما كانت في بعض المجتمعات تشكل غالبية عظمى ينبغي العناية بدعوتها والاهتمام بشأنها.

٤- أهمية تنويع الدعاة أدلتهم التي يستخدمونها حال عرضهم الدعوة لمنكري البعث، بما يتوافق وما عليه مدعووهم، من إيغالهم في الماديات وإنكارهم للغيبيات.

وفي الختام: نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للقول السديد والعمل الرشيد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

[١] ابن فارس. معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق عبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

[٢] ابن منظور. *لسان العرب*. ط٦. بيروت: دار صادر، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

[٣] البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح *البخاري*. تحقيق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز. ط١. بيروت: دار الفكر، د.ت.

[٤] النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. صحيح *مسلم*. تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي. الرياض: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

[٥] ابن عبدالوهاب، محمد. *ثلاثة الأصول وأدلتها*. الرياض: مؤسسة النور، د.ت.

[٦] الراوي، محمد بن عبدالرحمن. *الدعوة الإسلامية "دعوة عالمية"*. ط٣. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

[٧] غلوش، أحمد أحمد. *الدعوة الإسلامية "أصولها ووسائلها"*. بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

[٨] البيانوني، محمد أبو الفتح. *المدخل إلى علم الدعوة*. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

[٩] الشاذلي، عبدالله. *الدعوة والإنسان*. طنطا: المكتبة القومية الحديثة، د.ت.

[١٠] الجوهري، إسماعيل بن حماد. *الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"*. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

[١١] الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. *القاموس المحيط*. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

[١٢] ابن كثير، محمد بن إسماعيل. *تفسير القرآن العظيم*. ط١. دمشق: دار الفيحاء، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

[١٣] السلمان، عبدالعزيز محمد. *الكواشف الجليَّة عن معاني الواسطية*. ط١٧. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، ١٤١٠هـ.

[١٤] ابن مانع، محمد. *الكواكب الدريَّة لشرح الدرّة المضية في عقد أهل المرضية*. القاهرة: مطبعة المدني، د.ت.

[١٥] القرطبي، محمد بن أحمد. *التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة*. تحقيق السيد الجميلي. ط١. بيروت: دار ابن زيدون، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

[١٦] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. *مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية*. جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم. القاهرة: إدارة المساحة العسكرية، ١٤٠٤هـ.

[١٧] الديلمي، عبدالوهاب بن لطف. *معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم*. ط١. جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

[١٨] وجدي، محمد فريد. *دائرة معارف القرن العشرين*. ط٣. بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

[١٩] الحكمي، حافظ بن أحمد. *معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد*. الرياض: دار الإفتاء، د.ت.

[٢٠] العموش، بسام سلامة. *الإيمان بالغيب*. ط١. بيروت: دار المنار، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٢١] الألمعي، زاهر بن عواض. *مناهج الجدل في القرآن الكريم*. ط٣. الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٤هـ.

[٢٢] شلبي، رؤوف. *الدعوة الإسلامية "التجربة، الأخطاء، الحل"*. القاهرة: الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، ١٩٨٨م.

[٢٣] جمجوم، سميرة محمد عمر. *المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة والموقف الإسلامي منهم*. جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

[٢٤] الطبري، محمد بن جرير. *جامع البيان في تأويل آي القرآن*. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

[٢٥] باسيلا، سعيد محمد. *أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم*. ط١. ليوز – بريطانيا: سلسلة إصدارات الحكمة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

[٢٦] الفخر الرازي. *التفسير الكبير*. بيروت: دار الفكر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

[٢٧] ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم "شيخ الإسلام". *درء تعارض العقل والنقل*. تحقيق محمد رشاد سالم. الرياض: مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

[٢٨] الخطيب، عبدالكريم. *التفسير القرآني للقرآن*. القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت.

[٢٩] آل نواب، عبدالرب نواب الدين. الدعوة إلى الله "دراسة مستوحاة من سورة النمل". ط١. دمشق: دار القلم. ١٤١٠هـ.

[٣٠] الأشقر، عمر سليمان. *اليوم الآخر "القيامة الكبرى"*. ط٣، الكويت: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

[٣١] الشوكاني، محمد بن علي. *فتح القدير "الجامع بين فنّ الرواية والدراية من علم التفسير"*. تحقيق عبدالرحمن عميرة. ط١. المنصورة: دار الوفاء، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

[٣٢] السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

[٣٣] الجزائري، أبو بكر جابر. *عقيدة المؤمن*. ط٢. القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

[٣٤] سابق، السيد. *العقائد الإسلامية*. ط٣. القاهرة: دار الكتب الحديثة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

[٣٥] العلي، أحمد محمد عبدالله. *مشاهد القيامة في الحديث النبوي*. ط١. المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

[٣٦] ابن حنبل، أحمد. *المسند*. تحقيق شعيب الأرنؤوط وزملائه. إشراف عبدالله التركي. ط١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

[٣٧] ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو. *السنّة*. تحقيق باسم بن فيصل الجوابرة. ط١. الرياض: دار الصميعي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

[٣٨] الألمعي، زاهر بن عواض. *دراسات في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم*. ط٢. الرياض: مطبعة النرجس، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

[٣٩] عبد الواحد، مصطفى. *الإيمان في القرآن الكريم*. ط١. بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

[٤٠] القرطبي، محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. ط٢. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٦م.

[٤١] باجودة، حسن محمد. *تأملات في سورة الإسراء*. ط١. القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٥هـ.

[٤٢] عبدالباري، فرج الله. *اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام*. ط١. المنصورة: دار الوفاء، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

[٤٣] العدوي، محمد أحمد. *دعوة الرسل*. ط٤. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٣٥٤هـ.

Dawah For Those Who Disbelieved in Resurrection

Hamad Naser Alammar
Associate Professor, Department of Dawa & Ihtissab
College of Dawa " Islamic Call " and Mass Communication.
Imam Mohammed b. Saud Islamic University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. This study aims to highlight those types of people who do not believe in resurrection and how Islam attempts to enlighten them. The study consists of six sections. The first section, the introduction, informs the reader about *dawah* (the call to Islam) and resurrection. This is followed by a section which presents the various worldwide beliefs on resurrection. The second chapter informs us of the doubts of those in regards to the belief in resurrection and the various remedies for casting these doubts away. The third section provides us with the methodology of the Prophet Muhammad (S.A.W) in dealing with those who disbelieved in resurrection, and this is followed by a section presenting the proofs from the Quran in matters pertaining to resurrection. Finally, the conclusion summarizes the contents of the preceding chapters and in a succinct way concludes the overall benefits of the belief in resurrectio

Academic Publishing and Press